

الوحدة 4 - الفيديو 1: المستقبل الغامض

مرحباً. أهلاً وسهلاً بكم مجدداً في دورتنا للدروس الجماعية الإلكترونية المفتوحة حول "الصحافة في زمن الجائحة: تغطية فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 اليوم وفي المستقبل".

إنه لأمر مدهش فعلاً كيف وصلنا إلى وحدتنا الأخيرة. عندما تنتهون من المواد والأنشطة المخصصة لهذا الأسبوع، تكونون قد أكملت الدورة. إذا كنتم متأخرين، لا داعي للذعر. ستظل مواد الدورة مفتوحة لبضع أسابيع بعد 31 أيار/مايو. وإذا كان لديكم أصدقاء أو زملاء سمعوا عن هذه الدورة للتو، خذوا علماً بأنه ابتداءً من حزيران/يونيو ستحوّل الدورة لتصبح ذاتية التوجيه بدون محتوى جديد، لكنها ستُنشر بلغات إضافية. لذا يُرجى المراجعة وتشجيع الناس على إيجادنا.

بما أنّ هذه هي الوحدة الأخيرة، ستكون هذه آخر رسالة عبر الفيديو أوجهها أنا لكم. لذا اسمحوا لي أن أقول لكم كم كان شرفاً كبيراً لي أن أقود هذه الدورة إلى جانب المدربين الآخرين فيديريكو كوكسو، وأماندا روسي وإيف سياما. إنكم مجموعة رائعة، أذكيا ومراعون وشجعاناً وتتفاعلون. يشرفني أنني كنت مدرّبتكم. أمل أن تجدوا طرائق للبقاء على تواصل. كما أمل أن أستمّر برؤية أعمالكم.

حسناً، دعونا نتحدّث عن هذا الموضوع الأخير، وهو: العالم من بعد اليوم. على مدى الأسابيع القليلة الماضية، استكشفنا كيف نشأت هذه الجائحة، لكننا شهدنا تجربة الجائحة في أنحاء العالم كافة. كما استكشفنا الآمال لناحية التوصل إلى اللقاحات والعلاجات. أما الآن فسننظر في ما سيأتي تالياً.

لمعرفة المزيد عن ذلك، تشمل المجموعة الأخيرة لمقاطع الفيديو أشخاصاً متميزين جداً. سوف نستمع إلى الدكتور توم فريدين، الرئيس والمدير التنفيذي لشركة "ريزولف تو سايف لايفز" والمدير السابق للمراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية منها في إدارة الرئيس باراك أوباما. قبل ذلك، كان الدكتور فريدين المفوض الصحي لمدينة نيويورك ومسؤولاً في برنامج منظمة الصحة العالمية لمكافحة السلّ في الهند. وسنتحدّث إلى لويس فيليببي لوبيز كالفاء، المدير الإقليمي لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والأمين العام المساعد في الأمم المتحدة. كما سنحاول رسم خارطة المستقبل مع أنالي نيويوتز وهي صحافية تكتب عن انهيار المجتمعات الماضية، إضافةً إلى كونها مؤلفة كتب خيالية علمية تتصوّر الانهيار القريب لمجتمعات في المستقبل.

وسنسمع أخيراً من بروس شابيرو، المدير التنفيذي لمركز دارت للصحافة والصدمات النفسية في جامعة كولومبيا، حول ما يجب القيام به في المديين القريب والبعيد للحفاظ على صحتكم وسلامتكم.

إذاً المضي قدماً: ماذا يعني ذلك؟ يجب أن نعترف بأنه لا يعني السنين القادمتين إلى حين -احتمال- اختراع لقاح وتوزيعه. بل ما يعنيه، إذا أردنا أن نكون صادقين، هو بقية حياتنا. فقد غير وصول فيروس كورونا المستجد العالم كما نعرفه. يمكننا أن نأمل في إصلاح الضرر المباشر الذي ألحقته الجائحة بالأسر والاقتصادات والمجتمعات. لكن ينبغي ألا نتوقع أن يعود أي منها إلى سابق عهده.

وربما سنتمكن من تحسين هذه الأمور كلها، لكن يتعيّن علينا على الأرجح أن نؤسس تقاريرنا على فكرة أنها ستكون مختلفة.

في الوقت الذي أسجّل فيه هذا الفيديو، تجاوز عدد حالات الإصابة بالفيروس في العالم 5 ملايين حالة، كما سجّلت منظمة الصحة العالمية أكبر عدد من الحالات في يوم واحد. قلة هي الأماكن التي يمكنها أن تقول إنها تجاوزت الدورة - حتى أنّ بعض المحلات التي اعتقدت أنها تجاوزتها عادت لتشهد بالفعل حالات جديدة.

لكننا في هذه الجائحة لوقت طويل بما يكفي، خمسة أشهر حتى الآن، لتطوير نوع من الألفة مع الفيروس وبعض الإيقاع لتقاريرنا. إنّنا حيث قال رئيس الوزراء البريطاني وينستون تشرشل لجيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية أنّهم موجودون بعد فوزهم القوي الأول:

هذه ليست النهاية.

إنّها ليست حتى بداية النهاية.

لكنّها ربّما نهاية البداية.

إذاً أين هي قصصنا المحتملة هنا في نهاية البداية؟ دعونا نتحدث عن المستقبل القريب، وبعد ذلك عما يليه.

ثم عن مستقبلكم: يعتبر كل تقرير جوهري أن المهام الفورية هي الفحص والتعقب والعزل.

أي: معرفة ما إذا كان الناس مرضى، أو إذا كانوا يظهرون أدلة على التعافي من المرض من خلال الأجسام المضادة، وتعقب مع من اختلطوا إذا كانوا مرضى؛ وإقناعهم بملازمة المنزل أو داراً للنقاهاة بأمان إلى حين عدم تشكيلهم خطراً على الآخرين. وتكتسي دور النقاهاة أهمية خاصة لأنه يبدو أن انتقال العدوى بكوفيد يحصل بكثرة في الأحياء المكتظة وفي الأسر أو المساحات التي تتشاركها عدة أجيال في العائلة.

أنا متأكدة من أنه يمكنكم أن تروا على الفور القمص المحتملة هنا:

هل تملك بلادكم أو محلتكم ما يكفي من الفحوصات؟ من أين تأتي هذه الفحوصات؟ ما هو معدل موثوقيتها المعلن عنه؟ هل من إمكانية أن تكون مزورة؟ كيف ستتعامل منطقتكم مع تعقب الاختلاط؟

بالنسبة إلى من يعيش منكم في الاقتصادات النامية، إنها تنقسم ببارق دقيق: إن البلدان التي يتواجد فيها السل تعرف بالفعل كيف تتعقب المخالطين، لأن تعقب المخالطين جزء أساسي من الكشف عن هذا المرض. وقد فقدت الولايات المتحدة وأوروبا الغربية هذه المهارة في الغالب، لكن معظم بلدان الجنوب العالمي لا يزال يحتفظ بها.

فالفحص والتعقب هما الحد الأدنى المطلوب لفتح الاقتصادات، وهو ما يحتاجه العالم حاجة ماسة قبل الانزلاق إلى كساد في الاقتصادي العالمي. لكنهما، في أفضل الأحوال، وسيلة للسيطرة وللحد من المخاطر -وليس لجعل المخاطر تختفي.

ولدينا أجزاء من مجتمعاتنا تعلمت في العقود القليلة الماضية ما يعنيه أن تعيش، بل أن تزدهر في جو من المخاطر المبهمة. في المقام الأول، يبرز الأشخاص الذين يعيشون مع فيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز أو المعرضون لخطر الإصابة به.

تعلمنا في وقت مبكر من هذه الجائحة أن الطريقة الوحيدة لضمان عدم انتقال فيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز هي الاتفاق على عدم ممارسة الجنس مرة أخرى، وعدم الإنجاب مرة أخرى، وعدم تعاطي المخدرات غير المشروعة مرة أخرى. وبطبيعة الحال، لم يرغب الناس في فعل ذلك كله.

لكن ما كان الناس والمجتمعات على استعداد لفعله كان تطوير سياسات الحد من الضرر والتعبئة الاجتماعية: استخدام الواقي الذكري 100% من الوقت، ومنع الانتقال من الأم إلى الطفل، والتأكد من أن الأشخاص الذين يتعاطون المخدرات غير المشروعة يفعلون ذلك بأمان.

وتعلمنا أيضاً أن نعيش جنباً إلى جنب مع خطر حمى الضنك، وزيكا، والملاريا، وأن نحمي أنفسنا باستمرار فيما نواصل عيش حياتنا. هذا ما يمكن أن تؤول إليه الحياة في عصر فيروس كورونا: العمل لفترة طويلة على الحد من الأضرار.

هكذا نكون قد وصلنا إلى المدى المتوسط في المستقبل. لنفترض أن المدن والشركات أعادت فتح أبوابها: كيف ستعمل بأمان؟

إذا كنتم تعيشون في مدينة كبيرة مثل نيويورك أو باريس، كم من شوارع المدينة ستفرغ من السيارات لتحوّل إلى نوع الفضاء العام الضروري لتحقيق التباعد الاجتماعي إذا كنتم تقيمون في منطقة تمتاز باقتصادها السياحي مثل ساحل البحر الأبيض المتوسط أو البندقية أو الساحل المكسيكي، ما ستكون العملية التي سنتتجهها الحكومات لإعادة جذب المسافرين ودفعهم لاتباع قواعد جديدة؟ إذا كنتم تعيشون في مكان يحتوي على الكثير من الشركات المنفردة الصغيرة، أو حيث يعتاش الناس من العمل في المواصلات غير النظامية، كما هي الحال في الكثير من بلدان أمريكا اللاتينية وأفريقيا جنوب الصحراء، كيف سيلتمس الناس العمل من دون خرق التباعد الاجتماعي؟ كيف سيشاركون في أي نوع من شبكات الأمان أو استرداد الدخل، إذا كانوا عاملين غير نظاميين في المقام الأول؟

عندما يصبح أكثر ألفاً مع الأشكال الجديدة لوجودنا مع بعضنا البعض -سواء كان ذلك التباعد الاجتماعي الدائم، أو إجراء الفحوصات بشكل منتظم، أو تغيير كيفية ترتيب المتاجر والمكاتب أو تصميمها، أو إيجاد طريقة لإلقاء التحية لا تنطوي على المصافحة - يمكننا تالياً النظر إلى المستقبل البعيد. وهنا سيكون دورنا كصحافيين قيماً للغاية، من حيث قدرتنا على تجميع خيوط التوقعات والاتجاهات.

لأنّ القِصص المحتملة في هذا الجزء هي الأفكار الكبيرة.

ما مقدار الخصوصية الذي سنتخلّى عنه لكي نعرف إلى أين يتّجه المرض؟

من الذي سيُسمح له بامتلاك هذه البيانات كلّها عنّا؟

هل سنتهض القوى العاملة، كما فعلت بعد النزاعات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين أو حتّى قبلهما، لإعادة التّفاوض على قواعد العمل مع أصحاب العمل والشركات؟

هل سنسمح لحكوماتنا بالاختباء وراء القومية في محاولة للحفاظ على سلامتنا -أو هل سنبدأ موجة التعاطف الدوليّ والالتزام المتبادل التي أنشأت الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالميّة بعد نهاية الحرب العالميّة الثانية؟

علينا أيضاً أن نسأل عن أمرين آخرين.

الأوّل هو كيف نعيش الحداد على ما فقدناه؟ أين ما بحثتم في العالم وجدتم النّصب التذكارية للمعارك العسكرية. لكن يصعب أكثر العثور على نصب تذكاريّة لأولئك الذين يغيّبون بسبب المرض. بالنسبة إلى أنفلونزا العام 1918، التي تحدّثنا عنها في وحدتنا الأولى، أسوأ جائحة في التاريخ المسجّل، ما من فنّ عام يُحيي ذكراها: لا ساحة، لا تماثيل؛ لا سمفونيات؛ مجرد روايتين هزليتين باللغة الإنجليزيّة.

يُرَجّح أنّ النصب التذكاري الأكثر دراماتيكيّة للأمراض هو لحاف الإيدز الذي يمتدّ على 1.3 مليون قدم مرّبع من القماش. إنّه أكبر عمل فنيّ جماعيّ في العالم. ماذا سيكون لحافنا للخسائر المترتّبة على كوفيد 19 بين الشعوب والمجتمعات كما عرفناها؟ ما هي الأعمال التذكارية وأعمال العزيمة التي سننفّذها لتخليد هذه اللحظة؟

أمّا القصة الأخيرة التي يجب أن نتطّلع إليها فهي: ماذا ستفعل مجتمعاتنا إذا حدث هذا مرّة أخرى؟ بصفتي مراسلة تكتب عن الأمراض، بدأت أسمع بالفعل من العلماء عن الجائحة الكبيرة التالية. الكبيرة جدّاً.

في وحدتنا الأولى، تحدّثنا عن الفشل في التعلّم من الأوبئة السابقة. للمضي قدماً بعد هذه الوحدة، دعونا نسأل: ما هي الخطط التي يجري وضعها للكشف عن الجائحة التالية في وقت أبكر؟ ما هي الوكالات التي يتمّ تمويلها؟ ما هو العلم الذي يجب أن يكون أولويّة؟ ما هي نقاط الضّعف التي لاحظناها في مدننا ومجتمعاتنا وجعلتنا مستضعفين؟ ماذا يمكننا أن نفعل كصحافيين لإبقاء تلك الاستنتاجات أمام عينيّ النّاس، حتّى يتمّ الإفادة من دروس كوفيد 19 بدلاً من خسارتها؟

هذا كل شيء. نهاية البداية، المستقبل القريب والبعيد، وما نحتاج إلى البحث عنه تالياً فيما نعيش هذه اللحظة التاريخيّة معاً. أتمنّى لكم جميعاً الكثير من النجاح في مواصلة سعيكم إلى ما سيكون قصّة حياتنا.

أعلم أنّكم ستقومون بعمل رائع.

اعتنوا بصحتكم.